موضوع من تقديم جوانا هواري- بو رجيلي، مؤسِّسة ومديرة "المركز المهني للوساطة" في جامعة القدّيس يوسف.

فنُّ الحوار في البيئةِ الأكاديمية

منذ نعومةِ أظافرنا، نتعلَّمُ المشي والأكل والكلام.

لكن، هل تعلّمنا الإصغاء؟

فكما **يقولُ جان-ماري بوتيكليرك**، "الجزءُ الأصعب في فنّ الحوار ليس الكلام، بل الإصغاء."

الإصغاء إلى بعضنا البعض، طبعًا.

ولكن أيضًا الإصغاء إلى ذاتنا. الإصغاء إلى مشاعرنا واحتياجاتنا.

فما الفائدة من محاولة بناء علاقات أو جسور مع الآخرين إذا لم نبنِ أوَّلاً هذه الجسور داخل ذواتِنا؟

بناءُ الجسور بين الناس هي الرسالة التي التزَم بها "المركزُ المهنيّ للوساطة" التابع لجامعة القدّيس يوسف منذ تأسيسه في تشرين الأوَّل/أكتوبر 2006. وهو أوَّل مركز وساطة متعدّد التخصُّصات في لبنان. يتميَّز بمهامه الثلاث، فهو مركزٌ للتدريب والوساطة في الوقتِ نفسه، فضلاً عن كونِه حاضنًا للمشاريع.

من خلال دوراته التدريبية حول التواصل اللاعنفي والوساطة، يسعى المركزُ إلى تعزيز روح الإنسانية والتضامن بين الأشخاص، بهدف بناء مجتمع مدني مُسالِم.

استفادَ حتَّى الآن من التدريبِ حول الوساطة أكثر من 372 وسيطًا من مختلف الآفاق الثقافية والمهنية، بالإضافة إلى أكثر من 400 طالب من عدَّة جامعات لبنانية وما يزيد عن 4044 تلميذًا من مدارسَ خاصّة ورسمية.

أودّ تعريف بعض المفاهيم في الجزء الأوَّل قبل وصف أنشطتنا الحوارية في البيئات الأكاديمية في الجزء الثاني.

I. المفاهيم

1. الوساطة... فنٌّ معيَّن من فنون الحوار

تُعتبَر الوساطة وسيلةً بديلة لحلّ النزاعات. ينفّذها الوسيط، وهو طرف ثالث محايد وغير منحاز، يكفلُ الحفاظَ على سرّية كافة المحادثات والمناقشات الجارية في إطار الوساطة.

الوساطةُ آليةٌ سريعة وغير رسمية وغير مُكلِفة. يتمثّل أحدُ أهدافها في توجيه الأطراف نحو حلٍّ مُرضٍ لخلافهم.

لكن، إلى جانب كونها وسيلة ودّية لإدارة النزاع، تشكِّل الوساطة أداة تواصل للتحوّل الشخصي للأطراف وكذلك للوسطاء.

2. مهمّة الوسيط: إعادة إطلاق حوار سليم بين الأطراف

نزاعٌ، وضعٌ متوتّر، سوء تفاهُم، أمور غير مُعلَنة... يلجأ الأطراف إلى طلب المساعدة عبر الوساطة من أجل (أوّلاً) منع حصول النزاعات أو حلّها و/أو (ثانيًا) تأسيس أو إعادة تأسيس التواصل الإيجابي.

لهذا السبب، سوف يستعينُ الوسيط خلال عملية الوساطة بـ**الإصغاء الناشط والمتعاطف**، باهتمامٍ ومن دون إطلاق أيّ أحكام. فهو ليس خبيرًا فحسب، بل إنسانًا ناضجًا أيضًا.

لا يقومُ دورُ الوسيط على تقديم المشورة، أو تحليل الوقائع أو فهمها، بل يكمن دورُه في الإصغاء والانفتاح على ما يعلنه الأطراف صراحةً وضمنيًا. فهؤلاء الأطراف يأتون عادةً إلى جلسات الوساطة مُحمَّلين بمشاعرَ سلبية وبمشاعر الاستياء وحتّى الضغينة التي ترافقهم منذ سنواتٍ عديدة.

ولن يستطيع الطرفان تفريغ "شحناتهم العاطفية" تدريجيًا إلّا من خلال الإصغاء الناشط وإعادة الصياغة المحايدة من قبل الوسيط. فبمجرَّد سماعِها والتعبير عنها، لن تبقى هذه المشاعر مصدرًا للإزعاج في العلاقة بين الطرفَين.

وبنتيجةِ ذلك، سيتمكّن الوسيط والطرفان من البدءِ بحوارٍ يقومُ على أسُس احترام الاختلاف في وجهات النظر، والإقرار بقيم ومعتقدات كلّ فرد، وتقبّل الآخر "كما هو".

في هذه المرحلة، غالبًا ما تتّضح بعضُ الأمور، ويختبرُ الطرفان تغييرًا في نظرتهم للوضع. فبعد أن كانت نظرتهم إلى الأمور متطرّفة ومُطلَقة، باتَ بإمكانهم الآن فهم ما يحصل بطريقةٍ أكثر دقَّة واعتدالاً.

بعد أن كانوا في حالةِ صراعٍ على السلطة حيث الهدف تدمير الآخر وفرض وجهة نظرهم عليه، سوف ينتقلون الآن إلى علاقةٍ مِلؤها التعاون وغايتُها الاتِّحاد مع الآخر "في حقيقةٍ أسمى" **(القديس توما الأكويني).**

بعد أن كانوا في حالةٍ نزاعية فيها رابحٌ وخاسر، سوف يبلغون الآن وضعًا بنَّاءا يكونُ الطرفان فيه رابحَين. بهذه الطريقة، تكونُ الوساطة **مساحةً حيادية وحاضنة تسمحُ للطرفَين باستنافِ حوارٍ إيجابي.**

II. الوساطة أو الحوار في الجامعات

1. لمَ يجب الاستعانة بالوساطة في الجامعات؟

أسمعُ أحيانًا خلال دوراتي التدريبية أو جلسات الوساطة مع الشباب طلّاب الجامعات، عباراتٍ مثل:

"من المستحيل إقامة حوار معه(ـا) لأنّه(ـا) ينتمي إلى جماعةٍ سياسية أخرى، إلى فئةٍ مختلفة"؛ "ليسوا مثلنا"؛ "يريدون أن يغيّروا وجهات نظرنا وأن ينكروا معتقداتنا وهويتنا"؛ "إذا كان لا يفكّر مثلي، فهذا يعني أنّه ضدّي، ويرفض آرائي ومعتقداتي"؛ "من أجل أن يكونَ الحوارُ بنَّاءا، يجب أن نكون على "الموجة" ذاتها" إلخ.

إذًا، يدخلُ هؤلاء الشباب الحياةَ الأكاديمية مُحمَّلين بالأحكام والأفكار المسبقة من جميع الأنواع. والبعضُ يرى أنَّ التواصل يستدعي الاتّفاق مع الآخر وأن نكونَ مماثلين ومطابقين له، وأن نشاطره الآراء والقيم والمعتقدات نفسها.

لكن، ألا يقومُ التواصل على تشارُك الأمور؟ تشارُك اختلافاتنا في المنظورات أو القيم أو غيرها؟

وبما أنَّ الشباب هم مستقبل الوطن والجامعة هي المكانُ الأبرز للتعلّم، بدا من الضروري بالنسبة إلينا أن نُقيمَ دوراتٍ تدريبية حول التواصل والوساطة في مختلف كلّيات الجامعة.

وبالإضافة إلى تدريب الشباب حول كيفية التعبير عن أنفسهم، تقومُ رسالتُنا على دعمهم في مسيرة تطوّرهم لتمكينهم من اكتساب المهارات العلائقية اللازمة لخوض غمار حياتهم المهنية.

ب. وصف أنشطة المركز في الجامعات

1. **التدريب ونشر التوعية حول الوساطة**

من أجل نشر التوعية بين الطلّاب الجامعيين الشباب حول مقاربةٍ جديدة للحوار وإدارة النزاع، نظَّمت جامعة القدّيس يوسف موادًا اختيارية حول التواصل اللاعنفي والوساطة، وهي مُوجَّهة إلى جميع الطلَّاب بدءًا من السنة الجامعية الأَولى في بيروت وطرابلس.

بالإضافة إلى ذلك، قامَ المركز بين عامَي 2015 و 2016 وبالشراكة مع الوكالة الجامعية للفرنكوفونية، بإجراء دورات توعوية وتمهيدية حول التواصل اللاعنفي والوساطة، مع طلّاب من جامعات لبنانية مختلفة في الشمال والجنوب وبيروت.

خلال هذه الدورات التدريبية، يحصلُ المشاركون على فرصةٍ للعمل فعليًا على تطوير أنفسهم.

أشارَ كُثُرٌ في نهاية هذه الدورات إلى أنَّهم أصبحوا ينظرون إلى أنفسهم وإلى الآخرين بطريقةٍ إيجابية أكثر. لمسوا أيضًا تحسُّنا في تواصلهم اليومي مع عائلاتهم وأصدقائهم وزملائهم.

نذكر من بين المبادئ التي تركّز عليها هذه الدورات:

- **اكتساب الدراية:** تعلّم الإصغاء بشكلٍ ناشط وباهتمام وتعاطف، واستخدام تقنية إعادة الصياغة الإيجابية، والتواصل غير الضارّ إلخ.
- **اكتساب المهارات الاجتماعية:** تطوير الفهم الإيجابي لأنفسهم والآخرين، وتعلّم تحديد أحكامهم المسبقة إلخ.

تهدفُ هذه الدورات التدريبية إلى تطوير المهارات الاجتماعية التي ستساعدُ على تكوين "موقف علائقي إيجابي". وترمي أيضًا إلى الترويج لقيم حقوق الإنسان (المساواة بين الجنسَين، واحترام الاختلافات الثقافية والدينية، واحترام السلامة الجسدية إلخ.)

إنَّها تسعى إلى تأسيس القادة المستقبليين لمجتمعٍ لبناني سلمي.

2. **تدريب الطلّاب-الوسطاء**

قامَ المركزُ في العام 2013 بتطوير منهاج لتدريب الطلّاب-الوسطاء. جرى خلال هذا المشروع تدريب أكثر من 67 طالبًا-وسيطًا من كليات مختلفة في جامعة القدّيس يوسف على مدى سنتَين، بالتعاون مع مؤسَّسة فريدريش إيبرت.

تمَّ تعريفُهم على الأدوات والتقنيات الموصوفة أعلاه، وكذلك على تقنيات الوساطة. فعندما يتخرّجون، ستتمثّل مهمَّة هؤلاء الطلّاب، تمامًا كالوسطاء المحترفين، في مساعدة زملائهم الطلّاب على تفادي وإدارة النزاعات التي تحصل في كلّياتهم

أسَّسَ هؤلاء الطلّاب في العام 2015 أوَّلَ نادٍ للطلّاب-الوسطاء في جامعة القدّيس يوسف. وتقومُ إحدى مهام النادي على الترويج لروح الوساطة ولمقاربة جديدة للحوار عبر إجراء أنشطة متنوّعة كالمؤتمرات والمسابقات.

3. جلسات الوساطة ضمن الكلّيات

الوسطاء المحترفون في المركز متوفّرون أيضًا لدعم طلّاب جامعة القدّيس يوسف، خلال انتخابات الأندية الاجتماعية من أجل منع حصول أيّ توتّر وتهدئة الأوضاع بعد الحوادث أو النزاعات.

في الواقع، اتَّضحَ لنا أنَّ توجيه الإهانات للأطياف السياسية أو الدينية يكفي وحده لإطلاق ردود الفعل العنيفة. وردودُ الفعل هذه بيَّنت أنَّ هذه الاستفزازات تُعتبَر بمثابة انتهاك لأساس وجود الأفراد وولائهم. وكأنَّ لا وجودَ لهؤلاء الشباب إلَّا من خلال انتمائهم إلى مجتمعهم المحلّي، وليس بصفتهم أفرادًا مستقلّين وفريدين.

حتّى أنَّ بعضهم قالوا لنا إنّهم مرتبطون بجماعةٍ سياسية معيَّنة لأنَّ عائلتهم تنتمي إليها منذ أجيال عدَّة، والأمرُ أصبح "من موروثاتهم". وبالتالي، لا يستطيعون أن يجازفوا ويصبحوا مهمّشين ومستبعدين من وسطهم العائلي.

لكنّ هؤلاء الشباب عبّروا عن رغبتهم في عيش حياةٍ طبيعية كطلّاب من دون أن يحملوا مسؤولية مستقبل مجتمعاتهم المحلّية.

في الختام، ومن خلال تجاربنا المختلفة في البيئة الأكاديمية، أدركنا أهمية وجود مساحة محايدة وسرّية وحاضنة، يُعامَلُ فيها الشباب على قدم المساواة، ويتمّ الإصغاء إليهم من دون إطلاق الأحكام. فالإصغاءُ إلى مشاعرهم واحتياجاتهم ومنظوراتهم يسمحُ لهم بفتح قنوات حوارٍ صادقٍ وإيجابي مع الآخرين.

من هذا المنطلق، تمثّل الوساطة "لغةً إنسانية جامعة". لغةٌ تسمحُ بتجاوُز الاختلافات في الهوية (الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية أو غيرها) من أجل تهدئة النفوس من الداخل. وهذا شرطٌ من شروط العلاقة البنَّاءة والسلام الدائم.